مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م ٣١ ع ٥، ص ص: ٢٦٣ - ٢٧٩ (٢٠٢٣م)
DOI:10.4197/Art.31-5.9

توظيف أسطورة حاتم الطائي في الدراما

هدى بنت عبد العزيز بن خلف الشمري

دكتوراه في النقد الأدبي والمسرح، المملكة العربية السعودية

hudaabdalaziz@gmail.com

المستخلص. يدرس هذا البحث المعنون بـ "توظيف أسطورة حاتم الطائي في الدراما" شكل وجود شخصية حاتم الطائي في فن المسرح خاصة، والدراما عامة، حيث إن حاتم الطائي أسطورة عربية تناقل الناس أخباره عبر الزمن، وجاء أنموذجا في الكرم والعطاء وإغاثة الملهوف؛ إذ سجلت الكتب القديمة قصصه ومواقفه التاريخية المشهورة في الأخلاق العربية الجميلة، ووضحت الدراسة أن وجود الأسطورة الخاصة بحاتم الطائي جاءت في نمطين، النمط الأول: يمدح كرم حاتم ويراه فضيلة وضرورة للمجتمع وتلبية لحاجات الناس، والنمط الآخر: يعيب على حاتم الطائي كرمه، ويراه تبذيرا وإسرافا ينبغي الحد منه؛ لأنه أصبح سببا في إضاعة المال وهدر حقوق وحاجات الأبناء والزوجة، وسببا في تعاسة حاتم الأسرية والعائلية، بينما النظرة الاقتصادية المعتدلة هي المطلوبة في جميع شؤون الحياة. ثم أكدت الدراسة أن أسطورة حاتم حضرت في الدراما الشرقية أيضا، لا سيّما في المسرح الباكستاني والأفلام الهندية، وجاء توظيفهما في سياقات درامية جديدة مفعمة بالأغاني والشكل الرومانسي لعلاقة حاتم بزوجته، أو في إطار تعليمي للجيل الجديد يوجههم إلى أهمية التعاون وحل المشكلات بالكرم والبذل والتعاضد بين القوم الواحد. ونادت الدراسة إلى توظيف أسطورة حاتم الطائي في فيلم سينمائي عربي مشترك حرصا على خلود سيرة هذه الشخصية التي أصبحت أسطورة فلسفية، يشكل منها الأدباء أنماطا مختلفة من التصوير والإخراج الفني في المسرح والدراما. واستعانت الدراسة بمواقع أجنبية وعربية معا حرصا على حصر الوجود الفعلي لأسطورة حاتم من كل المصادر العربية والعالمية أيضا.

الكلمات المفتاحية: دراما، مسرح، حوار، حاتم الطائي، الكرم . الوفاء، وزارة الثقافة.

المقدمة

إنّ الكرمَ يجذبُ القلوبَ، ويغطي العيوبَ، ويجعلُ الإنسانَ صاحبَ جاهٍ بين قومِه؛ لأصالته وقوة انتمائه لعروبته، فالعربيُ رجلٌ كريم، لا ينبغي أن تلتصقَ به صفةُ البخل من بعيد أو قريب(١)، ومن هنا أصبح حاتم (٢) الطائي رمزا للكرمِ؛ بسبب مواقف العطاء الكثيرة التي تتابعتْ منه(٣)، حتى في ظروف فقرِهِ وحاجتِه ومتغيرات الحياة مِن حوله (٤)، ومعَ مرور الزمن أصبحَ أسطورةً يستلهمُ منها الأدباءُ قصصَ السماحةِ والكرمِ والوفاءِ(٥).

وقيل إن حاتم لم يكن كريما في تقديم الولائم للضيف فقط، بل إنه كريمُ النفسِ في خِصالِه الأخرى، مثل: الصدقِ والوفاءِ وإغاثةِ الملهوف، فيُروى أنّ الطائي مرّ "في مسيرٍ له ببني عَنَزَةَ وفيهم أسيرٌ، فاستغاث به، فقال له حاتم: لقد أسأتَ إليَّ حيث نَوَّهْتَ باسمي، وليس معي ما يفديك، ولستُ ببلاد قومي، ولكن طِب نَفْسًا، وجاء إلى الذي أسره فاشتراه منه بمئة ناقة، وفكّ القيد من رجليه وجعله في رجل نفسه، وقال: اذهب إلى أهلي، وأعطاه إمارةَ إليهم بالتسليم، ومضى الرجل، وأقام حاتم في قيوده حتى عاد الرجل بالإبل، وأطلق حاتم"(٦)، فقد كان حاتم يغيث الملهوف أيضا، ووفي الطبع.

---

* تشكر الباحثة جامعة الملك عبد العزيز بجدة ممثلة بقسم اللغة العربية الذي منحها جائزة التميز البحثي عن رسالتها العلمية للدكتوراه عام ٢٠٢٠م، وتثمن دعمهم الدائم لها بنشر بحوثها العلمية في مجلاتهم المحكمة. علما إن البحث يجمع بين المنهج التاريخي والوصفي معا لتحري الدقة في تتبع صورة حاتم الطائي في الدراما، ثم وصف طبيعة النصوص التي تحدثت عن أسطورة حاتم نقديا، ولم يسبق لباحث آخر فيما أعلم طرح هذا الموضوع في أبحاثه ومؤلفاته؛ لذا لا توجد دراسات سابقة حول موضوع البحث فيما أعلم.

(١) يُنظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار. ط١، (لبنان: شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، ج٣، ٢٠١١م)، ١٧٥.

(٢) حرصا من البحث على الحفاظ على اسم "حاتم الطائي" كما هو، فقد جعلته بصورته الأصلية من غير ضبطه بالشكل والإعراب.

(٣) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أقزم بن الغوث بن طيء، والدته عتبة بنت عفيف، كانت مثله في العطاء، فكانت لا تمسك شيئا تملكه، وكان شعر حاتم في وصف الجود، فيصدق قوله فعله، يُنظر: الشيخ كامل محمد محمد عطية، الأعلام من الأدباء والشعراء . حاتم الطائي . شاعر الكرم والجود، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م)، ٨٤، ٨٥، ٨٦.

(٤) يُنظر: أحمد إبراهيم الزعبي، الأمثال الشعبية ومناسباتها، ط١، (الأردن: دار الكتاب الثقافي،٢٠١٨م)، ٣٣٢.

(٥) يُنظر: حسن الفهد الهويمل، حاتم الطائي بين أصالة الشعر وأسطورة الكرم، (السعودية: مجلة الفيصل، السنة العاشرة، فبراير ١٩٨٧م، ع/ ١٢٠)، ٤٦.

(٦) ياسين سبيناتي، روضة السائحين في فكاهات ونوادر وغرائب العرب، ط١، (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠١م)، ١٠٧.

وبناءً على ما سبق ذاع صيت حاتم عبر الزمن؛ لكرمِه وجمال أخلاقه، فاستلهم الأدباءُ قصته في نِتاجهم الفني مرارا، ولا سيّما إنه شاعرٌ جاهلي من فئةِ الأجوادِ مِثلما صنّفه بعض النقاد القدماء[٧]، فجمعَ بين الشعرِ وكرمِ الأخلاق والنبل، وهو قبل ذلك أميرٌ من أمراءِ قبيلته أيضا. ومن هنا أضحى أسطورةِ من الأساطير التي يتداولها الزمن.

وتُعنى هذه الورقة بدراسةِ صورةِ حاتم الطائي في الدراما العربية خاصة، مع ذكر نماذج من حضورِها في الدراما الشرقية عامة؛ وأثناء ذلك تحاول الورقة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. هل حضرت صورة حاتم الطائي في الدراما بالنمط التقليدي (تتحدث عن الكرم بالمال وتقديم الولائم)؟

٢. ما الدلالات الأخرى التي وصلتْ إلى المتلقي من خلال توظيف أسطورة حاتم في الدراما؟

٣. ما التقنيات والأنواع الدرامية التي أُستخدمت في تشكيل صورةِ حاتم الطائي درامياً؟

الصورة التقليدية لحاتم الطائي في الدراما

لاحظتِ الدراسة أثناء حصر الأعمال المسرحية العربية وجود مسرحيات تحدثتْ عن شخصية حاتم الطائي في بدايات نشأة المسرح العربي الحديث خلال أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، ومنها: مسرحية "حاتم الطائي" التي قدّمتها فرقة عبد الرزاق أتاسي عام ١٩١٩م في دمشق، على مسرح القوتلي، وأعيد تقديمها خلال العام نفسه على مسرح قصر البلور في باب توما بدمشق أيضا[٨]، ومع الأسف لم تجدِ الدراسةُ مصدرًا يتحدثُ عن صورةِ حاتم فيها، أو البناء الدرامي للشخصية، بيد إن العنوانَ والتقديمَ لهُ في الأبحاث التي وصلتْ إليها الدراسة يعطيان مؤشرًا على أنّ تلك المسرحياتِ كانت توّظف الشخصية في الشكل التقليدي، والدعوة إلى الفضائل والكرم والعطاء، ولا سيّما أنّ آثارَ الاستعمار كانت ما تزال موجودة بوضوح في تلك الحقبة التاريخية، وتئِنُ من وطأتِها الشعوب العربية، وهو استعمارٌ يستنزفُ الخيرات، ويُجْهِضُ الشجعان قبلَ ولادتهم ونبوغهم، فكانتِ الأحداثُ في حاجةٍ إلى صورةِ رجلٍ شجاع كريم وشهمٍ يُلبِي حاجات المساكين، ويدافع عن الضعفاء، ويقويهم في هذه المعارك، ويدفع التسلط الدائم من الظالمين عنهم.

---

(٧) يُنظر: ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، نسخة رقمية، ط١، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة . دار الكتب الوطنية، ٢٠١٤م)، ٥.

(٨) يُنظر: فرحان بلبل، المسرح السوري في مائة عام (١٨٤٧م . ١٩٤٦م)، ط١، (سوريا: وزارة الثقافة السورية، ١٩٩٧م)، ٩٤.

وفي اليمن الشقيقة ظهرتْ مسرحية "حاتم الطائي" أيضاً خلال الفترة الذهبية للمسرح اليمني، في عام ١٩٣٧م، وأعدّها الفريق الكشفي للمسرح في ذلك الوقت[٩]، ولم توضحِ الدراسات ماهية البناء الدرامي للشخصية والصورةِ التي كانت عليها، ولم تجدِ الدراسة نسخةُ من المسرحية بكل أسف.

ثم ظهرتْ مسرحية أخرى بعنوان "حاتم الطائي"؛ لبولص السمعاني من رهبان الأردن خلال عام ١٩٤٦م[١٠]، وتوضح الدراسات أنّ البناءَ الدرامي للشخصية أظهر سماحةَ الإنسان العربي وحلمه من خلال صورةِ الكرم وحسن الخلق التي تجسدتا في شخصية حاتم الطائي، مِمّا يعني أنّ الكاتبَ وضعَ النمط التقليدي الموجز لسيرة البطل المعروفة عنه.

وفي مجال التمثيل الدرامي يصادفُ الدراسةَ مسرحية بعنوان: (ثالث الجبلين) على مسرح وزارة الثقافة وهيئة الفنون بحائل عام ٢٠١٣م، وهي مسرحية سلّطتِ الضوءَ على زواجِ حاتم الطائي من ملكة الشام ماويّة، بعد استهلال المسرحية بعرضٍ عن قصة إسلام "عُدي بن حاتم"، وكانت لغة الحوار الخارجي فصيحة، ويتضح فيها أن الديكور يتكون من كهفٍ وصخورٍ تدلانِ على البيئةِ الجبلية التي نشأ فيها حاتم في بلاد طيىء بحائل، وَوُظِفتْ فيها الخيول المُستعارة والكورال والموسيقى والإضاءة بشكلٍ جميل ويخطف الأنظار، وكتب المسرحية الأستاذ محمد رويشد السحيمي، وأخرجها المخرج زكريا المومني، وحسب إفادة مدير مقر الجمعية فإنّ فكرةَ العملِ مُستوحاةٌ من كِتاب "حاتم الطائي" للدكتور المؤرخ تنيضيب الفايدي، وقد واجه العملُ نقدا، مثل: إنه لا يجوز شرعا تجسيد شخصية عدي بن حاتم الطائي؛ لأنه صحابي حسب أحكام الشريعة[١١].

---

(٩) يُنظر: سعيد عولقمي، سبعون عاما من المسرح في اليمن، ط١، (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية: دائرة التأليف والنشر بوزارة الثقافة والسياحة، ١٩٨٣م)، ٣٩.

(١٠) يُنظر: باسم الدلقموني، المضامين الفكرية في مسرحيات جمال أبو حمدان، د.ط، (عمّان: مؤسسة ناشرون وموزعون، ٢٠٢٣م)، ٣٧.

(١١) يُنظر: المسرحية في اليوتيوب، حساب: جمعية الثقافة والفنون بحائل، عنوان المسرحية: مسرحية ثالث الجبلين.. حاتم الطائي، تاريخ وضع المسرحية في اليوتيوب: ٢٠١٨/٠٣/٢٩م، تاريخ الدخول: ٢٠٢٣/٥/٣م. وينظر: خالد العميم، في مسرحية ضمن مهرجان الصحراء "ثقافة حائل" تعيد إحياء أسطورة "حاتم الطائي"، جريدة الرياض، الجمعة ٦ ربيع الأول ١٤٣٤ هـ- ١٨ يناير ٢٠١٣م- العدد ١٦٢٧٩، رابط الدخول: https://2u.pw/sbYtgR، تاريخ الدخول: ٢٠٢٣/٥/٣م.

ويتضح ممّا سبق أنّ المسرحية أظهرتْ شخصية حاتم الطائي في صورةٍ نمطية . تاريخية، تُحاكي تبجيلَ الكرمِ وعاداته مع الضيوف، وإكبار حاتم لذبح الأغنام والفرس لهم، إضافة إلى أنها تَذكر شعرَهُ على الجمهور بأسلوبٍ جميل، ثم تُثني على عُدي بن حاتم؛ لدخولهِ الدين الإسلامي.

الصورة المختلفة لحاتم الطائي في الدراما

يتطور ظهور حاتم الطائي في النّص الدرامي، والدراما المرئية والمسموعة أيضا (التلفزيون، السينما، الإذاعة)، ومنها: حصول مسرحية "حاتم الطائي المومياء" على جائزة الطيب صالح في عام ٢٠١٥م[١٢]؛ للكاتب الأردني صبحي فحماوي، وفي هذه المسرحية يقوم حاتم الطائي بذبح فرسه الوحيدة لديه، إكراما لوزير الروم، وذلك بعد أن تخلى عنه والده وجده وقبيلته كلها، بسبب تبذيره، وخوفا من إفراطه غير المبرر في الكرم.

وتشيرُ الدراساتُ النّقدية التي تناولتْ هَذهِ المسرحية بالدراسةِ والتحليل المنهجي إلى تصنيفِها في الأدبِ الساخر، فهي مسرحية هزلية، تتضمنُ تقنيةَ التنوير الدرامي عبرَ سلسلةٍ من المشاهدِ المسرحية الغنية، فحاتم أصبح مثل المومياء الميتة التي لا حياة فيها ولا ورح بسبب كرمه المزيف، وإتلافهِ لمالهِ في البذخ غير المنطقي، وأصبحتْ زوجته وأولاده وأهله في حاجةٍ وفقر مدقع، ومن ثم أصبح وحيدا بائساً كالميت[١٣].

وتحثُ المسرحيةُ على العملِ والجدية والعطاءِ المُقنن وتعليم الأهل والأولاد السعي والادخار، وتوجه الجيل الجديد إلى بناء الوطن بالشكل الصحيح، عبر الوصول إلى حقيقة أن الأمّة العربيّة أمةُ شعرٍ وبيان وضيافة ومظاهر، لا أمة عملٍ وعلمٍ واقتصادٍ وصناعة وتخطيط[١٤]، يقول النص:

(النابغة الذبياني: هل من قِرى يا فتي؟

حاتم الطائي: واجبكُم كبيرٌ ! على الرّحبِ والسعة!

---

(١٢) الدستور، جائزة الطيب صالح تصدر مسرحية الأديب صبحي فحماوي "حاتم الطائي المومياء"، (عمّان: صحيفة الدستور، ٤ آذار. مارس ٢٠١٥م، تاريخ الدخول: ٢٠٢٣/٥/٢م، رابط الدخول: https://2u.pw/iF8wcp.

(١٣) يُنظر: فليح السامرائي، وشفاء العزاوي، التنوير الدرامي في مسرحيات صبحي فحماوي "مسرحية حاتم الطائي المومياء أنموذجا"، المؤتمر الدولي الثاني للدراسات اللغوية لعام ٢٠١٦م، جامعة المدينة العالمية بماليزيا، ٤.

(١٤) يُنظر: المرجع السابق، ٤.

باسم ربتي مُناة، أنحر لكم أصغر ثلاثة من الإبل!

(يقوم بتمثيل الذبح)

النابغة: إنما أردنا بالقرى "اللبن" وكانت تكفينا، ولا داعي لكل هذا الذبح!

حاتم الطائي: (يُحدق في وجوههم)

ولكن الواجب واجب!

وبعد أن ذبحت لكم واجب الضيافة، وها هي نار الشِواء موقدة، أستطيع أن أسألكم:

من أين أنتم، وما هي أسماؤكم؟

النابغة: أنا النابغة الذبياني، وهذان الشاعران هما رفيقاي.

(يرافقه في التمثيل أبو مشرف وهلال)!

حاتم الطائي: أأنا أمام الشاعر العظيم، "النابغة الذبياني" ذات نفسه؟

وَمناي)[١٥]، فيبدو في هذا المشهدِ أن حاتم يعرض كرمه حسب التقاليد التي تأصلت في نفسه، من غير وازع اجتماعي أو اقتصادي، فلا ينظرُ إلى مصلحة أسرته ومستقبلهم وأهمية الادخار في الحياة، بينما يبدو النابغة مكتفيا باللبن؛ ليكمل المسير بعد أن يسد حاجته به.

وهكذا تحول الكرم إلى هوس ومرض يجلب العواقب، ولا يساعد على تماسك الأسرة ومستقبل الذريّة.

ومن هنا ينوّه الباحثُ إلى أهميةِ قراءة التراث بالطريقة العميقة والفلسفية والمنهجية من دون عاطفةٍ تُزيّف المنطق، ومن غير تعصب للتقاليد العربية المتوارثة[١٦].

ومن أجملِ المشاهد التي نقلتها المسرحية المواقف الحواريّة بين المعلم وتلاميذه، حيث كشفتْ عن دورِ التعليم والمعلم في توجيه الفكر والسلوك للجيل الصاعد، فقد كان المعلمُ تقليديا في تقديمه لصورة حاتم في ثوب الكرم والعطاء والجود للتلاميذ في الحصص الدراسية، وهو يُمثل لهم بأمثلة مختلفة من حياته، فذكر أن الطائيَ كان ينحرُ الأغنام يوميا، ثم يقدمها للضيوف والمسافرين والمارين بدياره بعد طبخها وليمة،

---

(١٥) فليح السامرائي، وشفاء العزاوي، مرجع سابق، ٥، ٦.

(١٦) يُنظر: المرجع السابق،٧.

فأتى ردُ تلميذٍ مُفكرٍ صادمًا للأستاذ، وهو يقول له: "دخيلك يا أستاذ! أين هي هذه الأغنام التي كان ينحرها حاتم الطائي كل يوم؟ ومن أين يأتي بها مادام قاعدا بلا شغل ولا عمل؟ وهل هو موظف في مسلخ للبلدية، كي ينحرَ هذه الذبائح يوميا؟"(١٧)، فكلام الطالب يدل على أنه فهم المبالغات التي لا منطق لها ولا عقل فيها، وأنّ الحياةَ سلسلةٌ من العمل والجد؛ كي ينالَ الإنسانُ الراحةَ وغدقَ العيشِ له ولأسرته في المقام الأول، قبل إكرام الغرباء.

وفي قصةٍ أخرى للمؤلف نفسهُ، يوضحُ الخطُ الدرامي للحكايةِ أن حاتم ذبح فرسهُ الوحيدةُ إكراماً للضيفِ؛ لأنه لم يجدْ ما يُكرم به ضيفَهُ، فكيف يذبح العربي الفرس وهو السلاح الاستراتيجي الوحيد له في الصحراء؟(١٨)، فكأن الناقد ينقل إلى القارئ عبر هذه السؤال رسالة واضحة يُريد أن يصل إليها المتلقي بنفسه من غير أن يُساعده في ذلك الناقد، ومِن ثَم يفكر ويفكر القارئ؛ ليعرفَ أنه لا إنسان يستحق المجازفة بالفرس والتضحية بحماية الأسرة لتحقيق غاية الكرم، وهكذا يصل إلى الجواب بنفسه.

ومِمّا لا شكَ فيه أنّ رؤيةَ الكاتبِ الخاصةِ هي التي تصبغُ آراءَ شخصياتِه في العمل الدرامي، وإنْ حاولَ أن يوجهَها بطريقةٍ غيرَ مباشرة؛ ليقنعَ القارئَ والمشاهدَ بنصوصِه وأعمالِه الدرامية(١٩)، فلكلِ باحثٍ رأيه، ولكل قصةٍ تطورها التراجيدي أو الكوميدي، وفي كل الأحوال ينبغي للناقدِ احترامُ هوية المؤلف وفكره من غير تعصب أو تحيز أو عاطفة.

وإذا وجّهتِ الدراسة النّظرَ إلى الأعمالِ الدراميةِ التي مُثلتْ على خَشبةِ المسرح، يظهر في عام ٢٠٠٢م عملٌ فكاهي كوميدي سوري، يتكون من حلقات مختلفة، باسم "مدام دبليو" تبدو في إحدى حلقاته شخصيةُ حاتم عبرَ مشهدٍ ضاحكٍ معَ زوجته، (أدّى المشهد الممثلان: سامية جزائري وحسام تحسين بيك)، حيث نادته بعد أنْ ذبح فرسه وطبخها للضيف، قائلة له: ماذا ستذبح للضيوف بعد فرسِك؟ إنها فرسك ويحك...، ويستمر الحوار بلهجةٍ ضاحكة، تختلطُ فيها اللغةُ الفصيحة مع العامية السورية، وتفيدُ أنّ فعلَ حاتم، لا يمتُ للعقل والرزانة بصلةٍ، وأنّ اِمرأته لا تقبلُ تصرفاتَه، وتسخرُ من الضيوف الذين يستغلون نقاءَ

---

(١٧) يُنظر: فليح السامرائي، توظيف الخرافة واستلهام الأسطورة، (الأردن: صحيفة الرأي، ٢٠١٥/٤/٣م)، تاريخ الدخول: ٢٠٢٣/٥/٢م، الرابط: https://2u.pw/km3zRJ.

(١٨) دار الفارابي، رجل المومياء، موقع الدار الرقمي، تعليق نقدي من مؤسسة النشر، ١٠/ ٢٠٠٦م، تاريخ الدخول: ٢/ ٥/ ٢٠٢٣م، الرابط: https://2u.pw/viDadJ.

(١٩) يُنظر: عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ط٤، (القاهرة: مطبعة غريب، ١٩٨٤م)، ٢١٣.

حاتم وكرمه بطريقةٍ غيرِ مهذبةٍ، ثم يقتل زوجته في النهاية؛ لأنه لم يجد شيئا آخرَ يقدمه للضيف الجديد(٢٠)، فالكاتبُ يُدرك أنّ الكرمَ ليس إسرافا ولا تبذيرا؛ لأن نهايتهما أليمة، موجعة، تبوءُ بالفشل الذريع.

وهكذا تصبح الكوميديا وجها للنقدِ عبرَ السخريةِ من حاتم بأسلوب فكاهي، يبعث على الضحك، لكنه الضحك الذي ينبع من الأسى والتحسر على الواقع، فالمرأة ترى ذاتها ضحية كرم حاتم، فتسخر منه سخرية تصدر من مأساتها في الكدح الدائم للضيوف، من غير أن يشفقَ حاتم عليها أو يترفق بحالها أو ينفق عليها كما ينبغي له، فتذبل ثم تموت، على يديه، فتكون ضحية الإسراف لا الكرم.

وتتضمن الأعمال الدرامية الإذاعة أيضا، ولا سيّما إن كانت تبث الحكايات الصوتية، فيؤديها الممثلون من نصٍ مكتوب (سيناريو)، يتبادلون فيه الحوار الخارجي، مع وجود الراوي الذي يكمل الحكاية أو يعلق عليها بين المشاهد أحيانا، وكان حضور حاتم في الإذاعة من خلال مسلسل إذاعي سوري، يُبث من دمشق بعنوان (حاتم الطائي)، في سلسلةٍ إذاعيةٍ متواصلة بعنوان: (واحات القوافي)، وكانتْ حلقة حاتم الطائي الحلقة الخامسة من هذه السلسلة الدرامية الإذاعية، والعمل من إنتاج دائرة الدراما الإذاعية في الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون بسورية، ومن تأليف: علي بلال وآمال جرمقاني، ومن إخراج: جمال عقاد، ومِن الممثلين الذين اشتركوا في هذه الحلقة: علي القاسم، ورنا جمّول، وعدنان عبد الجليل، وغيرهم(٢١).

وتدورُ الأحداثُ الدرامية في هذه الحلقة الإذاعية عبر سلسلة من المشاهد المحبوكة، تُمثل قصة حاتم مع زوجتيه وأبنائه وعلاقته الوثيقة بالكرم والأمراء وحبه للشعر، ففي المشهد الأول: تتحاورُ والدة حاتم معه عن سبب تركها لأهلها، فيقول النص:

(حاتم: قد خرج أخوالي غاضبين. ما الأمر؟

الأم: آهٍ يا حاتم تعلمَ أن أخوالك حجروا مالي عاما كاملا، يطعمونني قوتي بعد موت أبيك بلا زيادة.

---

(٢٠) يُنظر: مشهد الحلقة في يوتيوب: رابط: https://2u.pw/BYEuKD، عنوانها: حاتم الطائي ذبح مرته ليطعم الضيف، سامية جزائري وحسام تحسين بك، تاريخ الدخول: ٢٠٢٣/٥/٣م.

(٢١) يُنظر: علي بلال وآمال جرمقاني، موقع دائرة الدراما الإذاعية في الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، مسلسل: واحات القوافي، حلقة: جواد العرب: حاتم الطائي . ح ٥، ١٣ يوليو ٢٠١٨م، الرابط: https://2u.pw/ulfui7. تاريخ الدخول: ٧/ ٥ / ٢٠٢٣م.

حاتم: أعلم هذا يا أماه، وأعلم أنه بعد كل هذا فكوا حجرهم عنكِ ودفعوا إليكِ بعضا من الإبل، فما الذي جرى؟

الأم: هه، أتتني امرأةٌ مستغيثة من هوازن، فأعطيتها ما دفعوا لي من إبل، فجاءوا إليّ غاضبين، لائمين، وخرجوا كما شهدتم.

حاتم: تعطين كل الإبل لامرأة واحدة.

الأم: أردتها أن تكف عن الطلب، وتكفي عيالها غائلة الفاقة والجوع)[٢٢]، ويدل هذا الحوار الخارجي بين حاتم ووالدته على أن حاتم ورث الكرم من والدته، وأُعجب بمنطقها وحبها للناس، بل التفكير بمستقبلهم، ودفعهم عن المسألة حفظا لكرامتهم.

ثم يأتي المشهد الثاني، ويكون الحوار فيه بين حاتم وجده، يعظه فيه الجد من البذل والإسراف في الكرم، وينذره إن لم يستمع فيه إلى نصيحته سيذهب بعيدا وسيعتزله، لكن حاتم يصر على موقفه، ويعتزله[٢٣].

وبعد ذلك يكون المشهد الثالث وفيه تصوير درامي لزواج حاتم من ماوية بنت عفزر، حيث اختارته لكرمه من بين سادات العرب، ولكن ماوية عندما تعيش معه، وتعرف طباعه عن قرب، تعاني من تبذيره وتهجره، ثم يتزوج مضطرا بامرأة من عَنزة اسمها (نوّار)، فتتفق الزوجتان على هجرهِ لعلهُ يرتدع، وبعد أن هجرته الزوجتان تكتشف نوّار أنها حامل، فتأمرها والدتها بالعودةِ حسب التقاليد إلى عش الزوجية؛ كي تلدَ مولودها في بيت زوجها مثلما جرتْ عليه العادات في ذلك الزمن، وتأبى ماويّة العودة، فتطلقه، لكنه يبقى مُحبا لها، وينظم الأشعار في شوقه إليها[٢٤].

وتتوالى المشاهد في هذه الحلقة الإذاعية التي تصور كرمَ حاتم وذكاءَه وحبه لقومه وغيرته عليهم وحرصه الشديد على ألا يبقى فيهم محتاج، ولا سائل، بل أن يكونوا دائما في ظِلال العزة والكرامة، ثم يتوفاه الله لشيخوختِه ومرضه بحضور ابنته سفانة[٢٥].

---

(٢٢) علي بلال وآمال جرمقاني، مرجع سابق.

(٢٣) يُنظر: المرجع السابق.

(٢٤) ينظر: نفسه.

(٢٥) يُنظر: نفسه.

وتلحظ الدراسة أن اللغة الفصيحة في الحلقة المسموعة كانتْ شديدةُ التماسك النصي، والحواريّة عالية دراميا، تشِفُ عن المعنى من خلال تمثيل الصوت للحظات الضعف والقوة والشهامة والخوف والشيخوخة والنقاء أحيانا، ولكل ما يتطلبه المشهد والشخصية والموقف البانورامي من كل الجهات، فتتضح قدرة المخرج على توجيه الممثلين لأداءٍ صوتي متمكن، على الرغم من أن التمثيل من خلال الإذاعة (الصوت) من أصعب أنواع التمثيل؛ لأن وسيلة الممثل الوحيدة لإيصال المعنى الصوت فقط، فلا يملك المساعدة من خلال عناصر أخرى، مثل: الديكور أو الأزياء أو لغة الجسد أو الإضاءة، فكل هذه العوامل تساعد أيضا في إيصال الدلالة إلى المشاهد جنبا إلى جنب مع مجهود الممثل الصوتي.

ويتضح من الخط الدرامي للأحداث في هذه الحلقة الإذاعية أن تصويرَ حاتم جاء ليدعم صورته البطولية في الكرم والعطاء والنقاء الإنساني في التعامل مع الناس، إضافة إلى وجود حنكة في فهم الناس والتغافل عن زلاتهم، والوفاء للأصدقاء، مع تصوير الجانب السلبي للكرم على الأهل والزوجات والأبناء والاستقرار العائلي أيضا، فكان البناء الدرامي معتدل النظرة في تقييم الكرم عند حاتم.

ولا شك أنّ سيرة حاتم يلفها بعض الغموض، فهو شخصية قديمة توفيت قبل الإسلام، ولا تملك الدراسات مصادرَ دقيقة عن تفاصيل حياته ومماته، لكن المؤلف والمخرج وضعا مشاهد من الخيال تناسبُ سيرته وتتناغم مع المعروف عنه، فسيرته أسطورة يضيف لها الأدباء ما تناغم مع فكرة الكرم والسمو الأخلاقي.

ويدل ذلك على القدرة العالية في حبك المشاهد الإذاعية ورسمها بجمال يتخلله الأبيات الشعرية من ديوان حاتم الطائي بلغة سليمة ونبرات متنوعة تحتد أو تسكن حسب الموقف الانفعالي للشخصيات وطبيعة السياق الاجتماعي في القصة.

وتعد الحلقة أنموذجا لتعليم الجيل الجديد اللغة الفصيحة السليمة من غير أخطاء وهنات لغوية، وتُعلم الأطفالَ والشبابَ الأخلاق العالية مع التحذير من البذخ ومآل المبذرين، وتُنمِي فيهم الخيالَ في حبك الحكايات للشخصيات الأسطورية بما يتوافق مع المشهور عنها من صفات زمنها ومكانها.

ومِمّا يدلل على أن حاتمَ الطائي أصبح أسطورة عالميّة وجودَ مسرحيات باسمه تستوحي قصته في باكستان والهند، وأفلام درامية أيضا تحاكي سيرته في مواقف وسياقات شرق آسيوية، تحكي قصة حبه لماوية، وتجسد أشعاره في صورة أغنيات تستوحي أفكارها من قصائده.

فعلى سبيل المثال، تعد مسرحية الأطفال (حاتم الطائي) الباكستانية، التي عُرضتْ في عام ٢٠١٩م سياقا لتعليم الصغار أهمية مساعدة الناس جميعا، عبر الألغاز التي تعد ركنا من الحبكة الدرامية في النص، وقد أخرج المسرحية المخرج: ثاقب سومير، ويُسقِط المؤلف على قصة حاتم مشكلة أهل كراتشي مع بعض الشخصيات المتسلطة ونجاتهم على يد حاتم أو الجنيّات أحيانا، وقد عُرضتْ المسرحية لمدة أسبوع كامل، وَوُزِعت كتيبات قبل بدء المسرحية مباشرة على الجمهور أثناء انتظاره عرض الفصول، وتتضمن الكتيبات سبع أسئلة، تدل إجاباتها على أهمية الوحدة في الحـياة السياسية والاجتماعية ودعم الناس جميعا[٢٦].

ولا شك أن هذا التجسيد الجديد لكرم حاتم الطائي يعد خطا دراميا إيجابيا بعيدا عن النظرة السلبية لكرم حاتم في حياته.

ومن الأفلام التي تتحدث عن شخصية حاتم في الشرق، فيلم حاتم الطائي الهندي، وقد أُنتج عام ١٩٩٠م، وهو يحاكي شخصية حاتم الحقيقية، بيد إنها ترسمه هنديا يحترم التقاليد والعادات، ويحب بوفاء وإخلاص محبوبته، وتتخلل الفيلم صور كرمه وشهامته وبعض الأغاني الأردية، وكان الفيلم سببا في تعرف الشعب الهندي على شخصية حاتم الطائي، وأصله العربي وقصصه المشهورة في سياق جديد، يدعو إلى النعيم في الحياة[٢٧].

وكل تلك الأعمال السابقة في هذا المبحث الثاني تدلل على التطور الدرامي في نظرة المؤلف تجاه سيرة حاتم الطائي وتوظيفها في سياقات وأطر فكرية جديدة، بعيدا عن النظرة التقليدية في تجسيد مواقف حاتم.

---

(٢٦) يُنظر:

Theatre review: Hatim, Tao MAIR Alavia، DAWN. Updated 09 Jan, 2020 10:52pm, Website Link: Translation: Huda Abdel Aziz. Entry Date: 7/ 5 /2023. https://2u.pw/G7S8Vn.

وينظر: د. راسخ الكشميري، صفحته في تويتر، ١٢:٢٩ م· ٢٦ يناير ٢٠٢٠، رابط: https://2u.pw/yAhEQr، تاريخ الدخول: ٧ / ٥/ ٢٠٢٣م. ويذكر الرابط أن الهند وباكستان يستشهدون بأمثال شعبيه بالأردية تضرب المثل بكرم حاتم الطائي.

(٢٧) يُنظر: المرجع السابق، والبحث يضطر إلى توظيف المراجع الرقمية أحيانا؛ لندرة المراجع المسرحية في الكتب والأبحاث القصيرة، وفي الملحق نسخة من إعلان الفيلم الهندي حاتم الطائي.

وهكذا يبقى حاتم[٢٨] أسطورةً تُغذي خيال المؤلفين في الدراما المحلية والعربية والعالمية، وفي الختام توصي الدراسة الوزارات والهيئات الثقافية والفنية في بلادنا. وهي تتجه إلى تنفيذ رؤية ٢٠٣٠ للأمير الرجل الرائع أميرنا سمو الأمير محمد بن سلمان آل سعود حفظه الله في تفعيل الفنون وإنتاج الأفلام . بصناعة فيلم سينمائي عربي مشترك من جميع الجنسيات باللغة الفصيحة، يُصور حياة حاتم بطريقة الفانتازيا، حيث تلائم أجواء العصر الجاهلي من جهة، وكرم حاتم الطاغي في حضوره وخيراته على الناس جميعا من جهة أخرى.

فمِن شأن هذا الفيلم إذا حقق الله له النجاح والذيوع والنقد البناء الهادف أن يؤثرَ في بثِ روح الإنسانية والسمو الأخلاقي والعادات العربية الحميدة في النفوس وتجديدها إلى كل خير ووفاء واحترام وعطاء.

الخاتمة

وفي الختام قد وصل البحث إلى عدد من النتائج، وهي كالآتي:

١. كان حاتم الطائي رجلا كريما، فاق كرمه حدود المعقول، حتى صارت شخصيته بمواقفها العظيمة في البذل أسطورة من الأساطير التي يستلهم الأدباء منها حكايات في العطاء.

٢. أتت صورة حاتم الطائي في فن الدراما عبر صورتين مختلفتين تماما.

٣. إن الصورة الأولى لحضور حاتم الطائي في الدراما صورة تقليدية، تدعم كرمه، أو تبجل عاداته في العطاء وإيثاره للمحتاجين على نفسه وأسرته.

٤. من الأعمال المسرحية التي أشادت بكرم حاتم الطائي مسرحية (حاتم الطائي) لفرقة عبد الرزاق أتاسي، عام ١٩١٩م، في سورية.

٥. من الأعمال المسرحية التي جسدت شخصية حاتم الطائي مسرحية (ثالث الجبلين) بحائل عام ٢٠١٣م، وأتت تأكيدا لهوية البذل في شخصية البطل.

٦. أتت الصورة الثانية لحاتم الطائي في الدراما صورة ضدية للصورة التقليدية الأولى، فقد كانت تعيب على حاتم الطائي إسرافه وتبذيره؛ إذ تجعله إنسانا بلا منطق، ومن دون مسئولية اقتصادية تجاه أسرته.

---

(٢٨) حرصت الدراسة على تجنب إعراب اسم حاتم، فلم تضبطه بالحركات والتنوين حسب موقعه في الجملة، وتركته كما هو حفاظا على صورة الاسم المعروفة، وهذا جائز في علم النحو العربي.

٧. من المسرحيات التي جعلت حاتم الطائي رجلا مبذرا مسرحية (حاتم الطائي المومياء)، عام ٢٠١٥م، للكاتب الأردني صبحي فحماوي، وقد حصلت على جائزة الطيب صالح للأدب.

٨. وظّف الكاتب المسرحي المعاصر فن السخرية لوصف الإسراف في شخصية حاتم الطائي.

٩. اختار بعض المؤلفين الدراميين "كوميديا الموقف"؛ لتصوير أثر التبذير في حياة حاتم الطائي الاجتماعية وفشل زيجاته.

١٠. أصدرتْ الإذاعة السورية مسلسلا إذاعيا تضمّن حلقةً عن حياة حاتم الطائي وأثر الإسراف في حياته اليومية بلغةٍ فصيحة وحبكة درامية عالية الجودة.

١١. ارتبط الحس التعليمي ارتباطا وثيقا بدراما حاتم الطائي، ولكن بطريقة فنية غير مباشرة.

١٢. وظّف المسرح الباكستاني والسينما الهندية أسطورة حاتم الطائي بطريقة فنية عالية الصياغة لحل المشكلات في الحياة وخلق النعيم في الدنيا، وهذه أحداث درامية جديدة لحضور حاتم الطائي في الفن الدرامي.

المراجع

أولا: المراجع العربية

إسماعيل: عز الدين (١٩٨٤م)، التفسير النفسي للأدب، ط٤، (القاهرة: مطبعة غريب).

بلال: علي، وجرمقاني: آمال (٢٠١٨م)، موقع دائرة الدراما الإذاعية في الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، مسلسل: واحات القوافي، حلقة: جواد العرب: حاتم الطائي . ح ٥، ١٣ يوليو ٢٠١٨م، الرابط: https://2u.pw/uIfui7. تاريخ الدخول: ٧/ ٥ / ٢٠٢٣م.

بلبل: فرحان (١٩٩٧م)، المسرح السوري في مائة عام (١٨٤٧م . ١٩٤٦م)، ط١، (سوريا: وزارة الثقافة السورية).

جزائري: سامية، وبك: حسام تحسين، مشهد الحلقة في يوتيب، عنوانها: حاتم الطائي ذبح مرته ليطعم الضيف، رابط: https://2u.pw/BYEuKD، تاريخ الدخول: ٢٠٢٣/٥/٣م.

الجمحي: ابن سلام (٢٠١٤م)، طبقات فحول الشعراء، نسخة رقمية، ط١، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة . دار الكتب الوطنية).

الدستور: صحيفة (٢٠١٥م)، جائزة الطيب صالح تصدر مسرحية الأديب صبحي فحماوي "حاتم الطائي المومياء"، (عمّان: صحيفة الدستور، ٤آذار/مارس)، رابط: https://2u.pw/iF8wcp، تاريخ الدخول: ٢٠٢٣/٥/٢م.

الدلقموني: باسم (٢٠٢٣م)، المضامين الفكرية في مسرحيات جمال أبو حمدان، د.ط، (عمّان: مؤسسة ناشرون وموزعون).

الدينوري: عبد الله بن مسلم بن قتيبة(٢٠١١م)، عيون الأخبار. ط١، (لبنان: شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، ج٣).

الزعبي: أحمد إبراهيم (٢٠١٨م)، الأمثال الشعبية ومناسباتها، ط١، (الأردن: دار الكتاب الثقافي).

السامرائي: فليح (٢٠١٥م)، توظيف الخرافة واستلهام الأسطورة، (الأردن: صحيفة الرأي، ٢٠١٥/٤/٣م)، رابط: https://2u.pw/km3zRJ، تاريخ الدخول: ٢٠٢٣/٥/٢م.

= =، والعزاوي: شفاء، التنوير الدرامي في مسرحيات صبحي فحماوي "مسرحية حاتم الطائي المومياء أنموذجا"، المؤتمر الدولي الثاني للدراسات اللغوية لعام ٢٠١٦م، جامعة المدينة العالمية بماليزيا.

سبيناتي: ياسين (٢٠٠١م)، روضة السائحين في فكاهات ونوادر وغرائب العرب، ط١، (الرياض: مكتبة العبيكان).

عطية: الشيخ كامل محمد محمد (١٩٩٤م)، الأعلام من الأدباء والشعراء . حاتم الطائي . شاعر الكرم والجود، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية).

العميم: خالد (٢٠١٣م)، في مسرحية ضمن مهرجان الصحراء "ثقافة حائل" تعيد إحياء أسطورة "حاتم الطائي"، جريدة الرياض، الجمعة ٦ ربيع الأول ١٤٣٤ هـ – ١٨ يناير – العدد ١٦٢٧٩، رابط الدخول: https://2u.pw/sbYtgR، تاريخ الدخول: ٢٠٢٣/٥/٣م.

عولقمي: سعيد (١٩٨٣م)، سبعون عاما من المسرح في اليمن، ط١، (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية: دائرة التأليف والنشر بوزارة الثقافة والسياحة).

الفارابي: دار (٢٠٠٦م)، رجل المومياء، موقع الدار الرقمي، تعليق نقدي من مؤسسة النشر، ١٠/ ٢٠٠٦م، الرابط: https://2u.pw/viDadJ، تاريخ الدخول: ٢/ ٥/ ٢٠٢٣م.

الكشميري: راسخ (٢٠٢٠م)، صفحته في تويتر، ١٢:٢٩ م، ٢٦ يناير ٢٠٢٠، رابط: https://2u.pw/yAhEQr، تاريخ الدخول: ٧ / ٥/ ٢٠٢٣م.

موقع: جمعية الثقافة والفنون بحائل في اليوتيوب(٢٠١٨م)، مسرحية ثالث الجبلين. حاتم الطائي، تاريخ وضع المسرحية في اليوتيوب: ٢٠١٨/٠٣/٢٩م، رابط: https://2u.pw/64autA، تاريخ الدخول: ٢٠٢٣/٥/٣م.

الهويمل: حسن الفهد (١٩٨٧م)، حاتم الطائي بين أصالة الشعر وأسطورة الكرم، (السعودية: مجلة الفيصل، السنة العاشرة، فبراير، ع/ ١٢٠).

ثانيا: المراجع الأجنبية

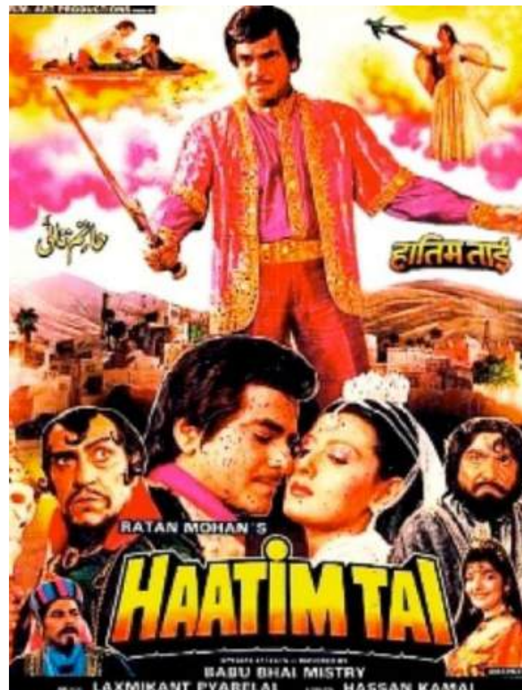
DAWN. Updated 09 Jan, 2020 10:52pm, Website ،Theatre review: Hatim, Tao MAIR Alavia https://2u.pw/G7S8Vn, Translation: Huda Abdel Aziz Entry Date: 7/ 5 /2023. ، Link:

الملحق

١. صورة غلاف مسرحية الأديب صبحي فحماوي "حاتم الطائي المومياء"



٢. صورة الإعلان الخاص بفيلم حاتم الطائي الهندي عام ١٩٩٠م.



Employing the Legend of Hatem Al-Taiee in Drama

Huda bent Abdul Aziz Bin Khalaf Alshammari

PhD in Literary Criticism and Theater, KSA

hudaabdalaziz@gmail.com

Abstract. This research, entitled "Utilizing the Legend of Hatem Al-Taiee in Drama," studies the form of the character of Hatem Al-Taiee in theater in particular, and drama in general, as Hatem Al-Taiee is an Arab legend whose news has been transmitted to people over time, and he became a model of generosity, giving, and relieving the needy. The ancient books recorded his famous historical stories and positions in the beautiful Arab morals; the study made it clear that the existence of the legend of Hatem Al-Taiee came in two patterns. The first type: He praises Hatem's generosity and sees it as a virtue, a necessity for society, and a response to people's needs. The other type: Hatem Al-Taiee criticizes his generosity, and sees it as a waste and extravagance that should be limited. Since it has become a cause of wasting money and squandering the rights and needs of the children and wife, and a cause of Hatem's domestic and family misery. While a moderate economic level is what is required in all matters of life. Then the study confirmed that the legend of Hatem was present in oriental drama as well, especially in Pakistani theater and Indian films. They were utilized in new dramatic contexts filled with songs and the romantic form of Hatem's relationship with his wife, or in an educational framework for the new generation that directs them to the importance of cooperation and solving problems with generosity, effort, and solidarity among one people. The study called for utilizing the legend of Hatem Al-Taiee in a joint Arab cinematic film in order to preserve the immortality of the biography of this character, who has become a philosophical legend, from which writers form different styles of filming and artistic direction in theater and drama. The study used both foreign and Arab websites in order to limit the actual existence of the Hatem legend from all Arab and international sources as well.

*Keywords***:** Drama, Theater, Dialogue, Hatem Al-Taiee, Generosity, Loyalty, Ministry of Culture.